﴿ الرسالة السادسة في اثبات النبوات ﴾
﴿ وتأويل رموزهم وامثالهم ﴾



﴿ الرسالة السادسة في اثبات النبوات ﴾
﴿ وتأويل رموزهم وامثالهم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيس ابو علي الحسين بن سينا رحمه الله تعالى ﴿سألت﴾ اصلحك الله تعالى ان اجمل جمل ما خاطبتك به في ازالة الشكوك المتأكدة عندك في تصديق النبوة لاشتمال دعاويهم على ممكن سلك به مسلك الواجب ولم يقم عليه حجة لا برهانية ولا جدلية ومنها ممتنعة تجري مجرى الخرافات التي الاشتغال في استيضاحها من المدعي ما يستحق ان يهزأ به في رسالة ﴿فاجبتك﴾ مد الله في عمرك الى ذلك فابتدأت بان قلت ان كل شيء في شيء بالذات فهو بعد بالفعل ما دام هو وكل شيء في شيء بالعرض فهو فيه بالقوة ومرة بالفعل ومن له ذلك بالذات فهو فيه بالفعل أبداً وهو المخرج لما فيه بالقوة الى الفعل أما بواسطة أو بغير واسطة مثل ذلك الضوء مرئي بالذات

وعلة الخروج كل مرئي بالقوة الى الفعل وكالنار وهو الحار بالذات وهو المسخن لسائر الأشياء أما بواسطة تسخينه الماء بتوسطه القمقمة وأما بلا واسطة كتسخينه القمقمة بذاته أعني مماسة بلا متوسط ولهذا أمثلة كثيرة وكل شيء هو مركب من معنيين فاذا وجد أحد المعنيين مفارقاً للثاني وجد الثاني مفارقاً له مثاله السكنجبين مركب من الخل والعسل فاذا وجد الخل بالعسل وجد العسل بلا خل وكالصنم المصور المركب من نحاس وصورة انسان اذا وجد النحاس بلا صورة انسان وجد تلك الصورة بلا نحاس وكذلك يوجد في الاستقراء ولهذا أمثلة كثيرة ﴿ فأقول ﴾ ان في الانسان قوة تباين به سائر الحيوان وغيره وهي المسماة بالنفس الناطقة وهي موجودة في جميع الناس على الاطلاق وأما في التفصيل فلا لان في قواها تفاوتا في الناس فقوة أولى متهيأة لان تصير صور الكليات منتزعة عن موادها ليس لها في ذاتها صورة ولهذا سميت العقل الهيولاني تشبيهاً بالهيولي وهي عقل نام بالقوة كالنار بالقوة مبردة لا كالنار بقوة محرق وقوة ثانية لها قدرة وملكة على التصور بالصور الكلية لاحتوائها على الآراء المسلمة العامية وهو عقل قام بالقوة أيضاً كقولنا النار لها على الاحراق قوة أو قوة ثالثة متصورة بصور الكليات المعقولة بالفعل

منها القوتان الماضيتان وخرجتا الى العقل وهو المسمى بالعقل الفعال وليس وجوده في العقل الهيولاني بالفعل فليس وجوده فيه بالذات فاذا وجوده فيه من موجد هو فيه بالذات به خرج ما كان بالقوة الى الفعل وهو الموسوم بالعقل الكلي والنفس الكلي ونفس العالم واذا كان القبول ممن له القوة المقبولة بالذات على وجهين أما بواسطة وأما بغير واسطة وكذلك اذا وجد القبول من العقل الفعال الكلي على وجهين فأما القبول عنه بلا واسطه فكقبول الآراء العامية وبداية العقول وأما القبول بتوسط فكقبول المعقولات الثانية بتوسط الآلات والمواد وكالحس الظاهر والحس المشترك والوهم والفكرة واذا كانت النفس الناطقة تقبل كما بينا مرة بتوسط ومرة بغير توسط فليس له القبول بغير توسط بالذات فهو فيه بالعرض فهو في آخر بالذات مستفاد وهذا هو العقل الملكي الذي يقبل بغير توسط بالذات ويصير قبوله علة لقبول غيره من القوى وليس اختصاص المعقولات الأول بالقبول بغير توسط الا من جهتين على الاختصار من أجل سهولة قبولها او من أجل ان القابل ليس يقوى ان يقبل بغير توسط الا ليسهل قبوله ثم رأينا في القابل والمقبول تفاوتا في القوة والضعف والسهولة والعسورة وكان محالا ان لا يتناهى لأن

النهاية في طرف الضعف ان لا يقبل ولا معقولا واحداً بتوسط ولا بغير توسط والنهاية في القوة هو ان يقبل بغير توسط فيكون يتناهى في الطرفين وهذا خلف لا يمكن وقد بين ان الشيء المركب من معنيين اذا وجد أحد المعنيين مفارقاً للثاني وجد الثاني مفارقاً له * وقد رأينا أشياء لا تقبل بغير واسطة وتقبل بغير واسطة ووجدنا أشياء لا تقبل من افاضات العقل بغير واسطة وأشياء تقبل كل الافاضات العقلية بغير واسطة واذا تناهى في الطرف الضعفي يتناهى في الطرف القوي واذا كان التفاضل في الأسباب يجري على ما أقول ان من الأسباب ماهي قائمة بذاتها ومنها غير قائمة بذاتها والأول أفضل . والقائم بذاته أما صورة وأثبات لا في مواد أو صورة ملابسة للمواد والأول أفضل. ولنقسم الثاني اذا كان المطلب فيه والصور والمواد التي هي الأجسام أما نامية أو غير نامية والأول أفضل . والناطق أما ملكة او بغير ملكة والأول افضل . والحيوان اما ناطق او غير ناطق والأول افضل . والناطق اما بملكة او بغير ملكة والاول افضل . وذو الملكة اما خارج الى الفعل التام او غير خارج والاول افضل . والخارج اما بغير واسطة او بواسطة والاول افضل . وهو المسمى بالنبي واليه انتهى التفاضل فى الصور المادية وان كان كل فاضل يسود المفضول ويروسه

فاذا النبي يسود و يروس جميع الاجناس التي فضلها . والوحي هذه الافاضة والملك هو هذه القوة المقبولة المفيضة كأنها عليه افاضة متصلة بافاضة العقل الكلي مجراة عنه لا لذاته بل بالعرض وهو المرئي القابل وسميت الملائكة بأسامي مختلفة لأجل معاني مختلفة والجملة واحدة غير متجزئة بذاتها الا بالعرض من اجل تجزي القابل . والرسالة هي اذا ما قيل من الافاضة المسماة وحيا على اي عبارة استصوبت لصلاح عالمي البقاء والفساد علما وسياسة والرسول هو المبلغ ما استفاد من الافاضة المسماة وحيا على عبارة استصوبت ليحصل بآرائه صلاح العالم الحسي بالسياسة والعالم العقلي بالعلم . فهذا مختصر القول في اثبات النبوة وبيان ماهيتها وذكر الوحي والملك والموحي واما صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبين صحة دعوته للعاقل اذا قاس بينه وبين غيره من الانبياء عليهم السلام ونحن معرضون عن التطويل *

ونأخذ الآن في حل المراميز التي سألتنى عنها وقيل ان المشترط على النبي ان يكون كلامه رمزا والفاظه ايماء وكما يذكر افلاطون في كتاب النواميس ان من لم يقف على معاني رموز الرسل لم ينل الملكوت الالهي وكذلك اجلة فلاسفة يونان وانبياؤهم كانوا يستعملون في كتبهم المراميز والاشارات التي حشوا فيها اسرارهم كفيثاغورس

وسقراط وافلاطون واما افلاطون فقد عذل ارسطاطاليس في اذاعته الحكمة واظهاره العلم حتى قال ارسطاطاليس فاني وان عملت كذا فقد تركت في كتبي مهاوي كثيرة لا يقف عليها الا القليل من العلماء العقلاء ومتى كان يمكن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ان يوقف على العلم اعرابيا جافيا ولا سيما البشر كلهم اذ كان مبعوثا اليهم كلهم، فاما السياسة فانها سهلة للانبياء والتكليف ايضا فكان اول ما سألتني عنه ما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل . الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء . ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم

﴿ فاقول ﴾ النور اسم مشترك لمعنيين ذاتي ومستعار . والذاتي هو كمال المشف من حيث هو مشف كما ذكر ارسطاطاليس . والمستعار على وجهين اما الخير واما السبب الموصل الى الخير والمعنيّ ههنا هو القسم المستعار بكليّ في قسميه اعني الله تعالى خيرا بذاته وهو سبب لكل خير كذلك الحكم في الذاتي وغير الذاتي . وقوله السموات والارض عبارة عن الكل وقوله مشكاة فهو عبارة عن العقل

الهيولاني والنفس الناطقة لان المشكاة متقاربة الجدران جيدة التهيؤ للاستضاءة لان كل مايقارب الجدران كان الانعكاس فيه اشد والضوء اكثر وكما ان العقل بالفعل مشبه بالنور كذلك قابله مشبه. بقابله وهو المشف وافضل المشفات الهواء وافضل الأهوية هو المشكاة فالرموز بالمشكاة هو العقل الهيولاني الذي نسبته الى العقل المستفاد كنسبة المشكاة الى النور والمصباح هو عبارة عن العقل المستفاد بالفعل لأن النور كما هو كمال للمشف كما حد به الفلاسفة ومخرج له من القوة الى الفعل ونسبة العقل المستفاد الى العقل الهيولاني كنسبة المصباح الى المشكاة * وقوله في زجاجة لما كان بين العقل الهيولاني والمستفاد مرتبة أخرى وموضع آخر نسبة كنسبة الذي بين المشف والمصباح فهو الذي لا يصل في العيان المصباح الى المشف الا بتوسط وهو المسرجة ويخرج من المسارج الزجاجة لأنها من المشفات القوابل للضوء * ثم قال بعد ذلك كأنها كوكب دري ليجعلها الزجاج الصافي المشف لا الزجاج المتلون الذي لا يستشف فليس شيء من المتلونات يستشف. توقد من شجرة مباركة زيتونة يعني به القوة الفكرية التي هي موضوعة ومادة للافعال العقلية كما ان الدهن موضوع ومادة للسراج لا شرقية ولا غربية الشرق في اللغة

حيث يشرق منه النور والغرب حيث فيه يفقد النور ويستعار الشرق في حيث يوجد فيه النور والغرب في حيث يفقد فيه النور فانظر كيف راعى التمثيل وشرائطه حين جعل أصل الكلام النور بناء عليه وقرنه به ثلاث ومعادنها فالرمز بقوله لا شرقية ولا غربية ما أقول ان الفكرية على الاطلاق ليست من القوى المحضة النطقية التي يشرق فيها النور على الاطلاق فهذا معنى قوله شجرة لا شرقية ولا هي من القوى البهيمية الحيوانية التي يفقد فيها النور على الاطلاق وهذا معنى قوله ولا غربية قوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار مدح القوة الفكرية ثم قال ولو مسها يعني بالمسي الاتصال والافاضة وقوله نار لما جعل النور المستعار ممثلا بالنور الحقيقي وآلاته وتوابعه بالآته وتوابعه مثل الحامل الذاتي الذي هو سبب له في غيره بالحامل له في العادة وهو النار وان لم تكن النار بذي لون في الحقيقة فالعادة العامية انها مضيئة فانظر كيف راعى الشرائط وايضاً لما كانت النار محيطة بالامهات مشبها بها المحيط على العالم لا احاطة سقفية بل احاطة تولية مجازية وهو العقل الكلي وليس هذا العقل كما ظن الاسكندر الافروديسيء ونسب الظن الى ارسطو بالاله الحق الاول لان هذا العقل الاول واحد من جهة وكثير من حيث هو صور كليات كثيرة

فليس بواحد بالذات وهو واحد بالعرض فهو مستفيد الوحدة ممن له ذلك بالذات وهو الله الواحد جل جلاله واما مابلغ النبي عليه السلام عن ربه عز وجل من قوله تعالى يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴿ فنقول ﴾ ان الكلام المستفيض في استواء الله تعالى على العرش ومن اوضاعه ان العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية وتدعى المتشبهة من المتشرعين ان الله تعالى على العرش لا على سبيل حلول هذا واما في كلام الفلسفي فانهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الافلاك ويذكرون ان الله تعالى هناك وعليه لا على حلول كما بين ارسطو في آخر كتاب سماع الكيان والحكماء المتشرعون اجتمعوا على ان المعنيّ بالعرش هو هذا الجرم هذا وقد قالوا ان الفلك يتحرك بالنفس حركة شوقية وانما قالوا يتحرك بالنفس لان الحركات اما ذاتية واما غير ذاتية والذاتية اما طبيعية واما نفسية . ثم بينوا ان نفسها هو الناطق الكامل الفعال ثم بينوا ان الافلاك لا تفنى ولا تتغير ابد الدهر وقد ذاع في الشرعيات ان الملائكة احياء قطعا لا يموتون كالانسان الذي يموت فاذا قيل ان الافلاك احياء ناطقة لا تموت والحي الناطق الغير الميت يسمى ملكا فالافلاك تسمى ملائكة فاذا تقدم هذه المقدمات وصح ان العرش

محمول ثمانية ووضح ان تفسير المفسرين انها ثمانية افلاك والحمل يقال على وجهين حمل بشري وهو اولى باسم الحمل كالحجر المحمول على ظهر الانسان وحمل طبيعي كقولنا الماء محمول على الارض والنار على الهواء والمعنيّ ههنا هو الحمل الطبيعي لا الاول * وقوله يومئذ والساعة والقيامة فالمراد بها ما ذكره الشارع ان من مات قامت قيامته ولما كان تحقيق نفس الانسانية عند المفارقة آكد جمل الوعد والوعيد واشباههما الى ذلك الوقت * واما مابلغ النبي عليه الصلاة السلام عن ربه عز وجل ان على النار صراطا صفته انه احد من السيف وادق من الشعر ولن يدخل احد الجنة حتى يجوز عليه فمن جاز عليه نجا ومن سقط عنه خسر فتحتاج قبل هذا ان تعلم العقاب ما هو واي شيءٔ هو المعنيّ بالجنة والنار ﴿ فاقول ﴾ اذا كان الثواب هو البقاء في العناية الالهية الاولى مع عدم النزاع الى ما لا سبيل اليه من الاشياء العلمية والعملية ولا يحصل ذلك الا بعد الاستكمال من العمليات ومجانبة خسائس العمليات لئلا تعود عادة وملكة تتوق اليها النفس توقان الألوف فيتعذر الصبر عنها وعليها ولن يحصل ذلك الا بعد مخالفة النفس الحيوانية في افعالها العملية وادراكاتها العلمية الا ما لا بد منه. فما هلك من هلك الا بمطابقة الوهم من القوى الحيوانية

الحاكم على الصورة المجردة في غيبة الحواس بالكذب والجسور المتسم
بسمة العقل الهيولاني بحلية اللب لا جرم لا يعرى عن ارتياب في
مقلده وارتداد في معتقده وفساد منتظر وعطب مستقبل فاذا فسد
بالصورة المعتقدة وجد النفس الناطقة في مطابقتها له نوعا من التطابق
عارية عن الصور الشريفة العقلية المخرجة لها الى الفعل وقد احوجت
طبعها ادراك مانعها كحجر شاله الى العلو شائل فبلغ به غير مركزه
الطبيعي ففارقه فانثنى الى السفل هابطا والى طبيعته معاودا اذ بأين
عائقه وذلك بعد ان فسدت آلاته التي كان يتصرف بها في اكتساب
العقل المستفاد كالحس الظاهر والحس الداخل والوهم والذكر والفكر
فبقي مشتاقا الى طبعه من اكتساب مايتم ذاته وليس معه آلة الكسب
واي محبة اكثر منها ولا سيما اذا تقادم الدهر في بقائها على تلك
الحالة فاما في مطابقتها له من الخسائس العملية فيوشك ان تبقى النفس
مفارقة لاحوالها السوء وقد الف ما طابقهم عليه ولم يمانعهم فيه من
اللذة الشهوانية الحسية فاني يحصل له ذلك ولا قوة شهوانية حسية
معه ومثله كما يقال لا تعشق احدا من السفر ومات الرجل فينتزع
ما يدهمك الباقي فتبقى في حروقة الصبابة . واذ تبين على الاختصار
معنى العقاب والثواب فالآن نتكلم في ماهية الجنة والنار ﴿ فنقول ﴾

واذا كان العوالم ثلاثا عالم حسي وعالم خيالي وهمي وعالم عقلي . فالعالم العقلي حيث المقام وهو الجنة . والعالم الخيالي الوهمي كما بين هو حيث العطب والعالم الحسي هو عالم القبور * ثم اعلم ان العقل يحتاج في تصور اكثر الكليات الى استقراء الجزئيات فلا محالة انها تحتاج الى الحس الظاهر فتعلم انه يأخذ من الحس الظاهر الى الخيال الى الوهم وهذا هو من الجحيم طريق وصراط دقيق صعب حتى يبلغ الى ذاته العقل فهو اذا يرى كيف الحد صراطا وطريقا في عالم الجحيم فان جاوزه بلغ عالم العقل فان وقف فيه وتخيل الوهم عقلا وما يشير اليه حقا فقد وقف على الجحيم وسكن في جهنم وهلك وخسر خسرانا مبينا . فهذا معنى قوله في الصراط . واما مابلغ النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل من قوله عليها تسعة عشر فاذ قد تبين ان الجحيم هو ما هو وبينا انه بالجملة هو النفس الحيوانية وبينا انها الباقية الدائمة في جهنم وهي منقسمة قسمين ادراكية وعملية . والعملية شوقية وغضبية . والعلمية هي تصورات الخيال المحسوسات بالحواس الظاهرة وتلك المحسوسات ستة عشر والقوة الوهمية الحاكمة على تلك الصور حكما غير واجب واحدة ذاتياني وستة عشر وواحد تسعة عشر فقد تبين صحة قوله عليها تسعة عشر واما قوله وما جعلنا اصحاب النار الا

ملائكة فمن العادة في الشريعة تسمية القوى اللطيفة الغير المحسوسة ملائكة . واما ما بلغ النبي محمد عن ربه عز وجل ان للنار سبعة ابواب وللجنة ثمانية ابواب فاذ قد علم ان الاشياء المدركة اما مدركة للجزئيات كالحواس الظاهرة وهي خمسة وادراكها الصور مع المواد او مدركة متصورة بغير مواد كخزانة الحواس المسماة بالخيال وقوة حاكمة عليها حكما غير واجب وهو الوهم وقوة حاكمة حكما واجبا وهو العقل فذلك ثمانية فاذا اجتمعت الثمانية جملة ادت الى السعادة السرمدية والدخول في الجنة وان حصل سبعة منها لاتستتم الا بالثامن ادت الى الشقاوة السرمدية والمستعمل في اللغات ان الشيء المؤدي الى الشيء يسمى بابا له فالسبعة المؤدية الى النار سميت ابوابا لها والثمانية المؤدية الى الجنة سميت ابوابا لها . فهذا ابانة جميع ما سألت عنه على الايجاز والحمد لواهب العقل وصلاته على اشرف خلقه محمد النبي وآله الطاهرين وصحابته اجمعين

آمين

****